هوامش

حين تذكر البخور في اليمن لا بد أن تذكر مدينة عدن التي اشتهرت به منذ القدم، كما أنها تتميز بصناعته حتى صار علامة تجارية عدنية معروفة عربياً وعالمياً

يمنية تصنع البخور في عدن (كريم صاحب/ فرانس برس)

بخور عدن

روائح خلابة تنبعث من البيوت والمحال

تصـ ـ **فخر العزب**

تعد مدينة عدن بوابة اليمن التاريخية إلى العالم. فالمدينة الواقعة جنوب البلاد على بحر العرب كانت حلقة الوصل التي قدمت اليمن إلى العالم عبر قوافل التجارة التي تحمل اللبان والبخور والمسك والعنبر والعود وتصدره إلى الشرق والغرب على حد سواء. ونتيجة لارتباط البخور بالطقوس والشعائر الدينية، والطب، والمناسبات الاجتماعية المختلفة، والزينة، ازدهرت تجارته وظلت عدن منبع البخور الذي نال شهرة في مختلف مراحل وحقب التاريخ، حتى صار لصيقاً بعدن ولازمة من لوازمها، فلا تذكر عدن إلا ويذكر معها «البخور العدني». وزائر مدينة عدن والمتجول في شوارعها وحاراتها القديمة يمكنه بسهولة أن يشم روائح البخور المنبعثة من البيوت والمحال التجارية، إذ يعد إشعال البخور طقساً لازماً للأسرة العدنية. وتتنوع روائح البخور الذي لا يمكن إيجاده في مدينة أخرى. إذاً تتميز عدن بصناعة البخور، حتى صار علامة تجارية، فلا يقال بخور من دون إضافة عدن بسبب تميزه وجودته، نتيجة الوصفات الخاصة التي تنفرد بها نساء عدن.

وللبخور العدني استخدامات متنوعة، من بينها زينة المرأة وتعطير جسدها وشعرها وملابسها، كما يستخدم في الأعراس والمآتم والولادات والسهرات، ولتزكية رائحة الأجواء في المنازل والمكاتب والمحال، وفي الطقوس الدينية بالمساجد والكنائس، وفي مجالس الذكر الصوفية. وفي الحضارات القديمة، استخدم البخور للعلاج من بعض الأمراض، وتم توارث هذه العادة، ولا يزال المعالجون من السحر والمس والعين يستخدمون البخور في معالجة المرضى، وتحصين الأصحاء. وتحرص بعض نساء عدن على تعلم حرفة صناعة البخور لسببين؛ الأول كونه مصدراً من مصادر الدخل، والثاني بهدف الحفاظ على هذه الحرفة المرتبطة بعادات وتقاليد وهوية مدينة عدن.

وبحسب التقديرات، لا يتجاوز عدد صانعات البخور المجيدات للحرفة 100 امرأة، رغم انتشار دورات تعليم صناعة البخور. إذ تحتاج الحرفة إلى تمكن وذائقة وقدرة فائقة على ضبط المقادير، وتحتاج صناعة بعض الأنواع ما بين ستة إلى 12 شهراً، جراء التعتيق. تقول سورية عقيل، وهي صانعة بخور عدني، لـ«العربي الجديد»، إنه «لتحضير ثمانية أقراص من البخور العرائسي يتم غلي 400 ميليغرام من المياه، مع إضافة كيلوغرام من السكر، ويتم التحريك على نار قوية للحصول على قوام لزج يشبه العسل. وتضاف إلى المزيج خمسة غرامات لدنة أسود وعشرة غرامات من مسك صابوني، حتى يذوبان تماماً في المزيج، ثم غرامين مثبت عنبر، ويتم التحريك لمدة خمس دقائق».

تضيف: «بعد ذلك يضاف إلى المزيج 50 غراماً من عطر البخور، و50 غراماً من عطر العود، و20 غراماً من مبسوس العود، وهو مزيج من أعواد الخشب الطبيعي مع مزيج من الزيوت الشرقية والزعفران وخشب الصندل، و20 غراماً من بودرة العفص، و20 غراماً ذريرة (نبات) خشبي، وعشرة غرامات بودرة مسك، وعشرة غرامات مثبت بودرة، ودقة عود أحمر ناعم، ودقة عود وسط، ودقة عود خشبي، ويتم التحريك ما بين ثلاث وخمس دقائق على نار قوية. يتم دهن ثمانية صحون فارغة بعطر البخور استعداداً لصب المزيج فيها كي لا يلتصق بها، وليمنحها رائحة مميزة. وبعد الانتظار عشر دقائق، نحصل على أقراص بخور صلبة تغلف بالألمنيوم للحفاظ عليها». وتقول سارة أحمد، وهي بائعة بخور، لـ«العربي الجديد»: «هناك عدة أنواع من البخور، كالبخور العرائسي الذي يعد أفخر الأنواع، والسلطاني، والملكي، ومذهلة، وجنات، والشرق، والعروس، والزمان، والعود الملبس، وعطر البخور. وهناك أنواع خاصة بالبيوت أو الملابس أو الشعر. كلما كان سعر مكونات البخور من عطور وعود وعنبر مرتفعاً، كلما ارتفعت تكاليف صناعته».

تضيف: «طبخة البخور العادية تكلف ما بين 100 إلى 150 ألف ريال (الدولار يساوي 1900 ريال)، ويمكن أن يصل السعر إلى 400 دولار. البخور المستخدم في البيوت يصنع بدقة العود فقط، وتكون كلفته أقل وجودته عادية، لكن البخور العرائسي تستخدم فيه العطور المتنوعة، ويكون أعلى جودة وأغلى سعراً». ومن صناعة البخور تتفرع صناعات أخرى، أبرزها المخمريات والمسك والعود الأخضر ودهن الزباد ولبن العصفور ولمسة حرير، وهي أنواع عطرية توضع على عنق المرأة وشعرها للتزين.

ورمزية البخور في عدن كانت ملهمة للروائي اليمني المقيم في فرنسا علي المقري، الذي أصدر رواية بعنوان «بخور عدني»، تتحدث عن مدينة فتحت أبوابها للجميع، وتصور حالة التعايش بين المسلمين واليهود والمسيحيين والهندوسيين والزرادشتيين والبوذيين والكونفوشيوسيين، وغيرهم من أتباع الديانات والمذاهب، ومن لا دين لهم.

باختصار

للبخور العدني استخدامات متنوعة، إذ يستخدم في الأعراس والمآتم والولادات والسهرات، ولتزكية الأجواء في المنازل والمكاتب والمحال التجارية

■■■

استخدم البخور قديماً في الطب للعلاج من بعض الأمراض، وتم توارث هذه العادة، ولا يزال المشعوذون يستخدمونه في معالجة المرضى وتحصين الأصحاء

■■■

لا يتجاوز عدد صانعات البخور المجيدات للحرفة 100 امرأة، رغم انتشار دورات التعليم، إذ تحتاج الحرفة إلى تمكن وذائقة وقدرة فائقة على ضبط المقادير

وأخيراً

سماح أبو عيطة ومحمّد أبو نصيرة

معن البياري

ليس لمذيع الأخبار في التلفزيون أن يُبلغ نظّارتَه ومستمعيه بأيِّ شيءٍ عن شخصِه، ولو كان يُغالب أسىً في روحه، عن ملمّةٍ تخصّه. يحدُث أن يُحاورَ ضيوفاً عمّا فيهم، وعن موتٍ كثيرٍ كان حواليْهم، وأخَذَ أحبّةً منهم، وعن مشاهد ولحظاتٍ عسيرةٍ عبروا فيها وإليها. ... هذا بالضبط ما كان عليه حال محمّد أبو نصيرة، المذيع في تلفزيون العربي، وهو يحاور سماح أبو عيطة، السيدة الغزّية التي فقدت والديْها، جمال الدين وأمل، وأشقّاءها بسّام وباسم وصلاح وطارق ويزن، وشقيقتيْها سهيلة وأحلام، وجميع أفراد عائلاتهم. وكانت فكرةً بليغة الوقْع، ورفيعةً، وجديدةً من قبلُ ومن بعد، أن تشارك سماح محمّد في قراءة عناوين نشرة أخبار، أول من أمس الخميس، وكان من هذه العناوين بلوغ عدد شهداء المقتلة في القطاع المتروك للعدو الوحش 40 ألفاً. أبلغتنا السيدة عن شخصِها، عن استشهاد نحو 50 من أفراد عائلتها في اعتداءات الجيش الغازي.

هذا نبأ يخصّ امرأةً فلسطينيّة معرفة الاسم، سمعناه منها مباشرةً. أتاحت لها شاشة فضائيّةٍ عربية، عنوانها صريحٌ في نصرة فلسطين وشعبها، أن تبلغنا به. ثم حاورَها محمّد أبو نصيرة، الذي ليس في وسعي هنا أن أكتم غِبطتي الدائمة به، ليس فقط لأنه صديقٌ أثيرٌ لي، وإنما أيضاً لما يُشيعُه حضورُه على الشاشة من ارتياحٍ ما، لا أدري سرَّه، ولا أعرف له سبباً. أقول حاور محمّدٌ سماح عن والدِها وإخوتها الشهداء، فحدّثتنا عن المهندس جمال الدين أبو عيطة، الذي كان له مصنع أجبان يديره في جباليا، وعن أشقّاء لها كانوا يعاونونه. حكت لمحمّد، وهي تجيبُ عن أسئلته النابهة (تذكّروا أنه صديقي؟)، عن سماحة والدِها، وحنانه، وعن حياة كانت تضجُّ بالوداعة والمرح والحبّ، مع شقيقها الأكبر وسائر إخوانها، في رمضان والعيد وكل يوم. كانت سماح تروي، وابتسامة ظاهرة على ثغرها، فتُشعرنا بأن بسّام وباسم وصلاح وطارق ويزن وسهيلة وأحلام ووالدهم من معارفنا، من جيراننا في الحارة، من أقاربنا، من ناسنا، من عظام رقابنا.

لا مجازات ولا استعارات ولا ظلال من أخيلةٍ في الذي قالته سماح أبو عيطة. ولم يأخذها زميلُنا الأريب، محمّد أبو نصيرة، إلى أجنحةٍ من بطولة، ولا إلى علياء يقيم فيها الموت. حاورَها في الشخصيِّ المحض، في الخصوصيِّ الفرداني، في المجموع العائليِّ، لا في العامّ العريض. كان هذا المقطع، وقد شاهدنا قبله (وبعده) سماح زميلةً لمحمّد في قراءة عناوين نشرة الأخبار، مساهمةً يُضيفها تلفزيون العربي إلى كثيرٍ أنجزَه في حماية الحكاية الفلسطينية في مقطعها الغزّي الراهن.

وفي الخاطر، أنه كان بديعاً من واحدٍ من حُماة هذه الحكاية، إبراهيم نصرالله، أنه جعَل «رندة» في «أعراس آمنة» (2004)، الرواية التي تؤثّث غزّة فضاءاتِها، تطلب من غسّان كنفاني، وهي تستحضر طيفَه قدّامها، بأن يقوم ويكتب الحكايات الصغيرة التي تجمعُها مما تسمعُه وتشاهدُه وتقصّه من الجرائد، ثم تسألُه: حكايتنا التي لا نكتبها، أتعرفُ ما الذي يكون مصيرها؟، ...، إنها تصبح مُلكاً لأعدائنا.

ومحمّد أبو نصيرة الغزّي المولود هناك (1989)، في بني سهيلة، والذي يستحقّ عدّه نموذجاً ناجحاً للشباب الفلسطيني الذي يصارع البؤس العام، اجتهد وثابر، وتخرّج مهندساً من جامعة في غزّة، قبل أن يصير اسماً في غير فضائيةٍ عربيةٍ ودولية، في إيران وتركيا وروسيا، وها هو على شاشة «العربي» وجهٌ بإطلالةٍ خاصّة. ... يُخبرنا إنها من أصعب مقابلاته التلفزيونية محاورته سماح أبو عيطة، وكذا عبد الرحمن أبو حامدة الذي فقد، هناك في غزّة، 65 فرداً من عائلته وأقربائه. يقول لنا محمّد عن ليلة شديدة الصعوبة مرّت عليه قبل أيام، لمّا حوصر منزل هناك، بدبّابات إسرائيلية قصفته، وكانت فيه والدتُه، وهو نجلها الوحيد. استبدّ به القلقُ عليها، كما في مرّاتٍ بلا عدد، في غضون الحرب الوحشية منذ عشرة شهور، رثى كثيرين من أقاربه وجيرانه ومعارفه قضوا شهداء. وعندما ينعى محمّد صديقاً له، رجلاً شهماً، ارتقى إلى سماء الرحمن، في ذلك القصف، اسمُه أدهم، يُشعرك، وهو الشاعر بالمناسبة، وحافظتُه من الشعر غنيّة، بأن هذا الشهيد قطعة من روحه.

لا يُنبئنا محمّد عن ناسه المكلومين في غزّة على «العربي» فليس له هذا، وإنما في فيديوهات يصوّرها، موجزة، رائقة. يحكي فيها مقاطع من سيرة الوجع الغزّي العظيم والشاهق. أحيّيه، وأسلّم على سماح أبو عيطة، وأرفع بيارق موشّاة بعظيم الإعجاب بالزملاء الذين جمعوا اثنيْهما على شاشة التلفزيون الشقيق.

> لا مجازات ولا استعارات ولا ظلال من أخيلة في الذي قالته سماح أبو عيطة. ولم يأخذها محمّد أبو نصيرة، إلى أجنحةٍ من بطولة

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**